المحاضرة 10 : التنوّع اللّغويّ والجغرافيّ 1: جغرافيّة اللّغة، الأطلس اللّغويّ

أولا: جغرافيّة اللّغة

1/ تمهيد:

تعد الدراسة الجغرافية اللغوية، من أحدث وسائل البحث في علم اللغة. ولها وظيفة ذات أثر بالغ في الدراسات اللغوية في العصر الحديث؛ لأنها تسجل الواقع اللغوي للغات أو اللهجات، على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغوي عام. وتختص كل خريطة بكلمة، أو بظاهرة صوتية معينة، يبدو فيها الاتفاق، أو الاختلاف بين المناطق اللغوية المتعددة. ومما لا شك فيه أن هناك تشابها بين لهجة إقليمية وأخرى، أو بين لهجتين اجتماعيتين أو بين عاميات خاصة، ما دامت هذه جميعا ترجع إلى أصل لغوي واحد.

فقد اقتبس علم اللغة، منذ أكثر من نصف قرن مضى، طرق علم الجغرافيا، ليضع حدودا لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين معالم كل لهجة، وتفرق بين لهجة وأخرى، ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا، إلا في أن ما يدون عليها ظواهر لغوية، تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصوات والمفردات، بين اللغات المختلفة، واللهجات المتباينة.

2/ بدايات ظهور جغرافية اللغة:

من المسائل اللغوية الاجتماعية ذات الصلة بالجانب الجغرافي: المسح اللغوي للمناطق المدروسة، هي ظاهرة اجتماعية لغوية، تستهدف تحديد مواقع تنوع اللغات واللهجات وتعايشها في منطقة جغرافية واحدة، مع مراعاة أسباب التنوع اللغوي بالتنوع الجغرافي، وتخطي اللغات وللهجات للحدود الطبيعية وانتشار الأنماط اللغوية. إلى التخطيط في وضع خرائط جغرافية أو أطالس لغوية، تبين توزيع انتشار اللغات واللهجات في مناطق تواجدها، وتمثيلها بتوظيف وسائط إعلامية حديثة تساعد على تسيير وضبط مواقع النظم اللغوية وتنوعها بشكل آلي، محكم ومنظم.

تعود الإرهاصات الأولى لعلم اللغة الجغرافي إلى الحرب العالمية الثانية، حينها أثير الجانب الجغرافي من اللغة، مما أدى إلى إنشاء مكتب لتحليل الوسائط، ووضع المناهج الدراسية العلمية لتعليم اللغات لأفراد القوات المسلحة[1]. وما يهمنا من حلقة براغ المعروفة بنظرية «التقابل اللغوي"، أنها ركزت على نقطة مهمة أفادت بأن: " اللغات تؤثر بعضها في بعض عن طريق الاتصال الجغرافي والتاريخي، مما يجعلهما تتطور معا بطرق متشابهة"[2].

---

[1] لغات البشر أصولها طبيعتها وتطورها: ماريو باي، تر. صلاح العربي، القاهرة، 1980، ص 12.

[2] مفاهيم في علم اللسانيات: التواتي بن التواتي، دار الوعي، ط2، 2008، ص 41-42.

نتيجة الاحتكاك والتزاوج الثقافي والحضاري لأمة من الأمم تتأثر اللغات يبعضها البعض في جميع المجالات، بحكم عدة عوامل تكون سببا في نموها وازدهارها ورفعها إلى مصاف الدول المتقدمة، التي تسعى إلى تحقيق التنمية المستدامة، وذلك مرهون بمواكبتها للتطور في وسائل الإعلام والاتصال العالمية.

تقتصر مجمل المهام التي يقوم بها جغرافيو اللغة على حصر كيفية الأداء، بحسب التوزيع الجغرافي، والنظر في رضع خرائط خاصة بالنطق مثلا: خريطة خاصة بانتشار التراكيب، وهكذا يساعدنا كثيرا على معرفة مدى تكلم الناس باللغة العربية، كما تساعدنا على معرفة التلاميذ ونطقهم العربي حسب المناطق التي نشأوا فيها حتى يمكن تكييف عليما حسب الفطرة التي نشأت عليها، ومعرفة ميولهم اللغوية حتى تسهل عليهم النطق بها[3].

3/ أهميتها:

يعدّ علم الجغرافيا اللغو ية أحد العلوم اللغوية الحديثة ظهرت تتويجا لجهود مجموعة من النحاة الباحثين في شأن اللغات المستعملة واللهجات المختلفة بغية إثبات التطوّر التاريخي للغات، وقد سلكوا في بحوثهم ثلاثة مناهج : المنهج الجغرافي الذي يتعلق بالأماكن، والمنهج الوصفي المناسب في وصف اللهجات التي تعدّ نظاما لغويا كاملا، ثم ضمنّوا نتائج بحوثهم الميدانية في خرائط لغوية، ارتقوا بها إلى ما سمي بالأطالس اللغوية، وسلكوا المنهج التاريخي لبحث التطورات الحاصلة على اللهجات عبر الأجيال والأزمنة المتعاقبة.

يهتم علم اللغة الجغرافي بدراسة اللغات المحلية ومجالات النفوذ اللغوي، ولغات السكان الأصليين والمستعمرين، ونفوذهم اللغوي بعد زوال الاستعمار. وموضوع اللغات الأولية والثانو ية في منطقة معينّة، والثنائية والتعددية اللغوية، والمركز الاجتماعي أو التربوي للغات (لغة رسمية ولغة وطنية، ولغة أدبية وغيرها)، واللهجات والمؤثرات فيها، والتعايش بين اللغات واللهجات[4].

ازداد الاهتمام بعلم الجغرافيا اللغو ية والأطالس اللغوية ابتداء من القرن العشرين؛ لتوفر بعض الظروف وتقدّم وسائل الاتصال، وقرب المسافة، والتبادل الثقافي[5]، وقد أصبحت الأطالس اللغوية تقدّم معطيات وصورا شاملة لتوزيع اللهجات، وعلى أساس الجغرافيا قسمت اللغة العربية القديمة إلى لغة شمالية وجنوبية، وقسّمت شعوبها إلى عاربة ومستعربة.

ثانيا: الأطلس اللغوي

1/ تعريف الأطلس اللغوي في اللغة والاصطلاح:

---

[3] مقدمة في علم اللغة التطبيقي:أحمد الشيخ عبد السلام، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2001، ط1، ص 141.

[4] ينظر :أسس علم اللغة، مار يوباي ، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 8 القاهرة 1998 م، ص37

[5] علم اللغة العام: عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988 م، ص139-259.

الأطلس لغة من الفعل طلس طلسا، طلس الكتابة محاها، والأطلس يطلق على كثير من المعاني منها: الثوب من الحرير المنسوج، ومنه الذئب الأمعط في لونه . غبرة إلى السواد[6]

والأطلس في الأساطير اليونانية اسم خيالي أطلق على أحد آلهة اليونان، كانوا يرون أنه يحمل الأرض، ومنه سميت مجموعة الخرائط الجغرافية بالأطلس، وفي علم الجغرافيا هو كتاب خرائط[7] ، ويقابله الأطلس اللغوي في البحث اللغوي.

يقول الباحث عبد العزيز حميد الحميد في تعريف الأطلس اللغوي ما نصه" :الأطلس اللغوي طريقة حديثة لتسجيل الظواهر اللغوية على خرائط جغرافية، وذلك عند الحاجة إلى تحديد مناطق تلك الظواهر، فتأتي الخريطة وسيلة إيضاح لظاهرة لغوية لها علاقة بمكان معيّن وهي من أقوى مظاهر اتصال علمي اللغة .والجغرافيا[8] "

فالأطلس اللغوي إذن وسيلة لتسجيل الظواهر اللغوية على الخرائط، وتجسد العلاقة بين علمي اللغة والجغرافيا، وليس هناك فرق بينه وبين أطلس اللهجات الذي يعرّفه الباحث سعد مصلوح بقوله: "أطلس اللهجات هو جمع لمادة غفل يستطيع منها اللغوي المدرب تدريبا كاملا بدراسة صابرة أن يضع خرائط .ذات قيمة لتوزيع الظواهر اللغوية[9]

يعرف على أنه: « أطلس يحتوي على خرائط تبين كل منها المنطقة الجغرافية التي تسود فيها سمة لغوية معينة من حيث النحو أو الصرف أو المفردات أو اللفظ، كما يبين توزيع اللهجات جغرافيا.»، ويتميز بتحديد جغرافية الناطقين بلغة ما في حدود جغرافية معينة، ويعمل الأطلس اللغوي على ضبط الأقليات الناطقين بلهجات معينة في بلد يتسع للعديد من اللغات واللهجات الهند على سبيل المثال.

فالأطلس اللغوي عبارة عن :" مجموعة من الخرائط التي تحدد التوزيع الجغرافي لما يلي:

أ/- العناصر اللغوية الفردية (على سبيل المثال : خصائص النطق ،وعلامات الإعراب القواعدية والكلمات)، وموقع الحدود اللغوية .

ب/- اللغات في المجتمعات متعددة اللغات، ومثال على ذلك :الأطلس الذي أعده المستطلعون أو المصورون الإنجليز) Orton et la ; 1978 (، الذي يوضح توزيع السمات اللغوية عبر مناطق اللهجة في إنجلترا، ومن الأمثلة على هذا الأخير أطلس اللغة في جنوب إفريقيا KwaZulu/Natal ، معظم سكانها ناطقون لغة (Zulu)، وفي ولاية البرتقال الحرة Orange Free State ، أغلب سكانها يتحدثون لغة Sotho ، أما

---

[6]المنجد في اللغة والأعلام: مجموعة من المؤلفين ، دار المشرق، ط 39 ، بيروت 2002 م، ص469

[7]ينظر :قاموس الهدى، سلطان الشريف ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، د.ت، .ص110

[8]عبد العزيز بن حميد الحميد :نحو أطلس لغوي جغرافي للجزيرة العربية، منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ص235

[9]مناهج العمل في الأطالس :سعد مصلوح ، مجلة كليةّ دار العلوم، جامعة القاهرة،1976 .م، ص 122 ، العدد5

بالنسبة للغة Xhosa ، فهي اللغة المستخدمة في الخليج الغربي والشرقي في ولاية البرتقال الحرة...وقد تم إنتاج الأطالس اللغوية أواخر القرن التاسع عشر، لكثير من البلدان والمناطق والمدن ...للخرائط التي توضيح اللغات المهاجرة في لندن، وتقدم أيضا خرائط التوزيع العالمي للغات من قبل إثنولوجي لغات العالم..."[10].

إذن الأطلس يتكون من مجموعة من الخرائط، قد تصل عدة آلاف، حيث توضح كل منها ظاهرة أو أكثر من اللهجة أو اللغة، ويستعان في توضيح هذه الظواهر بمجموعة من الرموز من الأشكال الهندسية كالمثلث والمربع والمستطيل والدائرة وما إلى ذلك.وتذكر المراجع أن الأطالس نوعان هما[11]:

تحليلية: وفيها تتناول الخريطة عنصراً واحداً كنطق القاف أو الجيم مثلاً في البلاد العربية، أو الكلمات التي يدلون بها على الرجل أو البيت، أو العبارة التي تؤدى بها التحية، أو تقال في استقبال أو وداع ونحو ذلك. **تركيبية:** وفيها توضح الخريطة عنصرين أو أكثر، كصيغ الفعل الماضي أو أنواع الجمع، أو الضمائر، أو أنواع الجمل، أو نطق حروف الشفة مثلاً.

مما تقدم ذكره يمكن القول بأن الأطلس اللغوي يسهم في إجراء مسح لغوي شامل للمناطق التي تولي اهتماما كبيرا للاستخدام الأمثل لكل من اللغة واللهجة حسب نسبة سكانها ونموها الديمغرافي وما تلحقه من ركب في التقدم الحضاري والاقتصادي لمستعملين لأهلها[12].

ما هو إلا أداة فعالة تستقطب كم هائل من المعلومات عن سكان أو متحدثي أية لغة في أية منطقة تتواجد من أجل التخطيط في ضبط التعليم والتعلم السليم للنظم اللغوية حسب موقع انتشارها، لغة كانت أو لهجة.

2/ نشأة الأطلس اللغوي :

إنَّ بداية ظهور الأطلس اللغوي كانت له بذوره في دراسات علمائنا القدماء ويظهر ذلك جلياً لاشك في ا أثناء جمعهم للنصوص اللغوية التي استخلصوا منها قواعد اللغة العامة، وفيما جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات السائدة في بعض مناطق الجزيرة، إلا أن في العصر الحديث ظهرت مستجدات وتطورات علمية كالأجهزة والآلات المعملية وطرق القياس المستحدثة التي يشرت طرق الدراسة في اللهجات وتحديد خصائصها وكذا الأماكن التي توجد فيها[13].

وقد بدأت فكرة عمل الأطلس اللغوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وكان رائداً هذا النوع من الدراسة، التي اعترف علماء اللغات بمالها من نفع في حل المشكلات اللغوية، هما فنكر Wenker الألماني، و"جليرون Gilliéron ، الفرنسي، حيث قام كل واحد منهما بعمل أطلس لبلاده، فقد ظهر الأطلس

---

[10] معجم اللغويات الاجتماعية، جون سوان وآخرون: ص232

[11] ينظر في اللهجات العربية، أحمد خاطر، ص: 16

[12] علم الاجتماع اللغوي: عبد الفتاح عفيفي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 199.

[13] ينظر اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبد الغفار حامد هلال، ص:400.

اللغوي لفرنسا بين عامي 1902- 1910م، وعنوانه: Atlas linguistique de la France، أما الأطلس الالماني فقد نشر جزء منه وهي الدفعة الأولى، وكانت مكونة من ست خرائط في عام 1881م، وبعدها انتقلت فكرة عمل الأطالس اللغوية إلى بعض البلاد الأخرى، كإيطاليا، وسويسرا والسويد، والترويج، والبرتغال، وانجلترا، أي أنها شملت معظم بلاد أوربا، بل تعدتها إلى أمريكا، وبعض البلدان الشرقية.

ومما يستحق الذكر أن العالم اللغوي السويسري شتيجر Steiger" قد أبان عن قيمة الأطلس اللغوي، وأهميته للغة العربية، بقوله : « وبالنسبة للغة العربية، نقول: إن القيام بعمل لها، سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية، لأنه سيكمل من أطلس لغوي ! غير شك، الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة، بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في اطلاعنا على تاريخ الأصوات، والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية إنَّه سيكون عملاً ثقافياً من الطراز الأول، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخر في تاريخ الثقافة العالمية»، فهذا إن دلّ إنَّما يدل على الاهتمام الكبير باللهجات العربية من طرف الباحثين العرب والغربيين.

ولقد "كان إعداد الأطالس اللغوية، أسبق في الوجود من معظم الإنجازات الوصفية الحديثة. وهو يعتمد إلى حد كبير، على مفردات اللغة التي تعد في نظر الوصفيين، في الدرجة الثانية من الأهمية، ولكنه مع ذلك اتبع منهجا يمكن أن يوصف على الأقل بأنه وصفي، وبأنه خير مثل للعمل اللغوي تحت ظروف البيئة المعينة. وعلى الرغم من أن هذا العمل قد بدأ أساسا على يد اللغويين التاريخيين، لأغراض تاريخية في معظمها، فإنه قد وضع الأساس لنموذج الدراسة الوصفية العملية في مجال البحث اللغوي".

وعلى الرغم من تقدم هذا الفرع من فروع الدراسة اللغوية في أوربا وأمريكا، فإنه لا يزال غض الإهاب في بلادنا. وليس لدينا في لغتنا العربية، إلا محاولة قام بها المستشرق الألماني: "برجشتراسر G Bergstrasser "لعلم أطلس لغوي لبلاد سوريا وفلسطين Sprachatlas von Syrien und Palastina نشره في ليبزج سنة 1915م. وسنتحدث عنه بالتفصيل بعد ذلك.

3/ فوائد الأطلس:

للأطلس اللغوي فوائد كثيرة، لعل من أبرزها:

- ✓ يساعد الأطلس اللغوي على دراسة اللهجات العربية لذاتها، دراسة علمية عميقة، لاكتشاف ما فيها من خصائص الصوت والبنية والدلالة والتركيب، فضلا عن معرفة التغييرات المختلفة التي تطرأ عليها من وقت إلى آخر.
- ✓ يثري الأطلس اللغوي الدراسات البحثية في العربية الفصحى نفسها، إذ يتيح لنا ذلك المسح الجغرافي، كتابة تاريخ هذه اللغة، في عصورها المختلفة ويمدنا بوسائل علمية لمعرفة أقرب اللهجات العربية صلة باللغة الفصحى وأبعدها

عنها. فضلا عن أنه يعين على معرفة ما يتصل من اللهجات بالفصحى، وما هو قديم، فنربط بين القديم والحديث، لتقريب الجديد من الفصحى.

- ✓ ينفع الأطلس اللغويُّ المؤرخين وعلماء النفس والاجتماع العرب والمستشرقين في دراساتهم التاريخية والنفسية والاجتماعية من أجل أن تكتسبَ دراساتُهم مرتبةً عالية من الصحة والصدق والشمول.
- ✓ يمدُّنا الأطلس اللغوي القائم على المسح الجغرافي الدقيق بالمعلومات اللازمة لمعرفة مدى امتداد اللهجات العربية.